الإصلاحات فى مكة فى العصر العباسي الثاني

فى الفترة من (٢٣٢-٣٢٩هـ/٨٤٦-٩٤٠م)

د.يونس خضرى محمود
أستاذ مساعد بكلية الآداب
جامعة المنيـا

مقدمة البحث

مكة إحدى مدن إقليم بلاد الحجاز الثلاث، وهي أشرف بقاع الأرض وأطهرها، وقد ورد اسمها في القرآن الكريم بعدة مسميات وهذا دليل على عظمتها، وقد خص Y Θ مكة – دون سائر بقاع الأرض– بأن جعل بها بيته الحرام، لذلك تبوأت مكانة مرموقة عند العرب قبل الإسلام.

وبظهور دعوة الإسلام بها علي يد النبي ρ أصبح لها قدسية وحرمة خاصة في قلوب المسلمين إلى أن يرث الله تعالي الأرض ومن عليها.

ولما كان لمكة تلك القدسية، اهتم حكام المسلمين طوال تاريخهم بأمرها، وخاصة بالأماكن المقدسة بها، وذلك توكيدا للمقولة التاريخية: "إنما تحق الخلافة لمن كان الحَرَمان في يده، ولمن أقام الحج".

وفي العصر العباسي الثاني، وفي الفترة من (٢٣٢-٣٢٩هـ) أولى بعض خلفاء ذلك العصر وبعض الشخصيات الإسلامية اهتماما كبيرا بأمر مكة، وقد تمثل هذا الاهتمام في ثلاثة محاور رئيسية هي:

الأول : في توسعة المسجد الحرام وعمارته.

والثاني: في عمارة الكعبة المشرفة وكسوتها وتحليتها، <u>والأخير</u> في القيام بإصلاحات عامة بها.

وقد حُددت فترة البحث من (٢٣٢-٣٢٩هـ) لأنه تلك الفترة كان للخلفاء العباسيين وبعض الشخصيات الإسلامية جهودا ملموسة في الإصلاحات بمكة، أما بعد تلك الفترة فقد ضعف أمر الإهتمام بها من جانب الخلفاء، نتيجة للتطورات التي شهدتها الخلافة العباسية من سيطرة البويهيين ثم السلاجقة على مقدراتها، حتى سقطت علي يد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وهذا ما أردنا إيضاحه فى ثنايا هذا البحث وعلى الله قصد السبيل.

الإصلاحات في مكة في العصر العباسي الثاني

وتتمثل في ثلاثة جوانب رئيسية:

الجانب الأول: توسعة المسجد الحرام وعمارته .

الجانب الثاني: عمارة الكعبة المشرفة وكسوتها وتحليتها .

الجانب الثالث: إصلاحات عامة في مكة المكرمة .

الجانب الأول

توسعة المسجد الحرام وعمارته في مكة [١]

كانت توسعة المسجد الحرام وعمارته من أكثر الميادين التي شملتها عناية خلفاء المسلمين وولاة أمورهم في الحقب التاريخية المختلفة، وذلك على اعتبار أن المسجد الحرام أعظم مسجد عرفته المعمورة، لذلك لا غرابة أن تَسَابق خلفاء المسلمين ومن دونهم في توسعته وعمارته، وتوفر وسائل الراحة والأمن والطمأنينة للحاجين إليه، وأن يكون لهم به من الآثار المحمودة والخيرات الباقية المشهودة، ليذكروا بها على مر الدهور، فلا يموت ذكرهم وإن ماتوا، ولا يندرس خبرهم وإن درسوا[١].

أ - توسعة المسجد الحرام:

كان المسجد الحرام علي عهد النبي ρ، ليس له جدران تحيط به، وإنما كانت الدور محدقة به من كل جانب، وبينها أبواب يدخل منها الناس من كل نواحيه[٢]، وحدثت أول توسعة له في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) حينما خرج إلى مكة معتمرا في (رجب١٧هـ/ يوليو٦٣٨م)، فوجد أن المسجد قد ضاق بالناس فأشترى المنازل التي بجوار المسجد من أصحابها، ثم هدمت وأدخلت فيه، ومن أبى أن يبيع قُوم منزله ووضع ثمنه في جوف الكعبة، ثم هدم وأدخل في المسجد الحرام، ثم أحاط الخليفة المسجد بجدار قصير كانت توضع عليه المصابيح[٣].

واستمرت أعمال التوسعة بعد ذلك، سواء في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) أو في عهد خلفاء بنى أمية في المشرق.

ولما سقطت الدولة الأموية في المشرق وقامت دولة بنو العباس (١٣٢هـ/٧٤٩م) أولي خلفاء وولاة الأمر في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م) اهتماماً كبيراً بالأماكن

---

(١) الرشيدي (الشيخ أحمد)، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق د. ليلي عبد اللطيف أحمد، طالقاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٠٤.

(٢) الأزرقي محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٦٨/٢.

(٣) الفاسي (تقي الدين)، مخطوط تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام، مخطوط بمعهد المخطوطات تحت رقم ٦١٠ تاريخ، ورقة ٩٨.

المقدسة في مكة والمدينة، وذلك توكيدا للمقولة التاريخية: " إنما تحق الخلافة لمن كان الحَرَمان في يده، ولمن أقام الحج[٤]. وكانت توسعة المسجد الحرام مما شمله هذا الاهتمام في ذلك العصر.

وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٦٥٦هـ/٨٤٦-١٢٥٨م) وفي خلال فترة البحث (٢٣٢-٣٢٩هـ/٨٤٦-٩٤٠م) اهتم بعض خلفاء بني العباس بتوسعة المسجد الحرام، وكانت أول توسعة له في عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، إذ كتب صاحب البريد [٥] على مكة سنة (٢٨١هـ) إلي وزير الخليفة العباسي عبيد الله بن سليمان بن وهب (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م).[٦] يذكر " أن دار الندوة[٧] التي بجوار المسجد الحرام قد عظم خرابها، وتهدمت وكثيراً ما يلقي فيها من القمائم حتى صارت ضررًا على المسجد الحرام وجيرانه، وإذا جاء المطر سال الماء منها حتى يدخل المسجد الحرام، وأنه لو أخرج ما فيها من القمايم وهدمت وعدلت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام، أو جعلت رحبة له يصلي الناس فيها ويتسع فيها الحاج، كانت مكرمة لم تتهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي، وشرفًا وأجرًا باقيًا إلى الأبد[٨]

كما قام صاحب البريد بتوضيح ما كتب به إلى الوزير العباسي لأمير مكة (عج بن حاج) ولقاضيها (محمد بن أحمد بن عبد الله)، وطلب منهما أن يكتبا إلى الخليفة بمثل ما كتب إلي الوزير، ففعلا ما طلب منهما[٩]

---

(٤) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) تاريخ اليعقوبي، ط بيروت، ١٩٦٠م، ٢٦٩/٢.

(٥) كان البريد في العصر العباسي الثاني من مصالح الدولة الخاصة، وكان صاحب البريد يراقب العمال. ينظر: قدامة (ابن جعفر) كتاب نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، طبعة ليدن، ١٨٦٩م، ص ١٨٤. وبالإضافة إلى ذلك كان صاحب البريد يتجسس على الأعداء ويقوم بالأعمال التي يقوم بها اليوم رئيس قلم المخابرات في وزارة الدفاع. ينظر: د.حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ط القاهرة، ١٩٦٠م، ٢٧٩/٣

(٦) كان عبيد الله بن سليمان بن وهب من كبار وزراء الخليفة المعتضد. ينظر: ابن طباطبا (محمد بن علي) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط بيروت، ١٩٦٦م صفحة ٢٥٥. وأيضًا: د. توفيق سلطان: مؤسسة الوزارة في الدولة العباسية، ص٣٥.

(٧) دار الندوة هي تلك الدار التي بناها قصي بن كلاب ملاصقة للبيت الحرام في الناحية الشمالية واتخذ منها مقرًا لندوة قريش فعرفت بدار الندوة، وسميت بهذا الاسم لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر ندوا إليه للتشاور والندوة الجماعة ودار الندوة دار الجماعة. ينظر: د. محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ط دار الثقافة، القاهرة، ص ١٩٠. وقد أدخل جزءا كبيرا من دار الندوة ضمن المسجد الحرام في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور. ينظر: الأزرقي: مصدر سابق، ٧٣/٢.

(٨) الأزرقي: مصدر سابق، ص ص ١١٠-١١١.

(٩) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٦٣/١.

ولما وصلت تلك المكاتبات إلي الخليفة أمر وزيره (عبيد الله) وغلامه (بدر) مولاه وصاحب الحظوة عنده،[١٠] بعمل ما رفع إليه، وبعمارة دار الندوة مسجدًا يوصل بالمسجد الحرام، وبعزق وادى مكة وما حول المسجد الحرام، وأخرج لذلك الغرض مالًا كثيرًا، وأسند أمر الإشراف على تلك الأعمال إلى ابن قاض بغداد–في ذلك الوقت– يوسف بن يعقوب (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) والذي كان يسمي (محمدًا)، حيث ذهب إلى مكة برفقة رجل معه من بني أسد بن خزيمة[١١] يسمي (أبا الهياج عمير بن حيان الأسدي)، ووكل إليه تنفيذ أوامر الخليفة بشأن توسعة المسجد الحرام.[١٢]

وهناك في مكة شرع أبو الهياج ومن معه من العمال ومعهم أموال الخلافة، في إخراج القمائم من دار الندوة ثم قاموا بهدمها وشيدوا مكانها مسجدًا، فتح له في جدران المسجد الحرام اثنا عشر بابًا، وقد استمر ذلك العمل ثلاث سنوات من (٢٨١–٢٨٤هـ)، وبلغ مساحة ما تم إضافته إلى المسجد الحرام أربعًا وسبعون ذراعًا طولاً، وسبعين ذراعًا عرضًا[١٣]، وذلك بمقياس ذراع الحديد[١٤]، وتعرف تلك التوسعة بزيادة دار الندوة بالجانب الشمال.[١٥]

أما التوسعة الثانية للمسجد الحرام–خلال فترة البحث–فكانت في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥–٣٢٠هـ/٩٠٨–٩٣٢٠م) على يد واليه على مكة محمد بن موسي، وذلك سنة (٣٠٦هـ)، حيث أمره الخليفة بتوسعة المسجد الحرام من الجانب الغربي من ناحية باب إبراهيم، حيث أدخل والي مكة في تلك التوسعة دار زبيدة[١٦]،

---

(١٠) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة بيروت،١٩٨٧م، ٢٧٩/٤.

(١١) ابن حزم (علي بن سعيد الأندلسي): جمهرة أنساب العرب، تحقيقعبد السلام هارون، طبعة بيروت، ١٩٨٣م، ص١٩٠.

(١٢) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٦٣/١.

(١٣) الفاسي: نفسه، ٣٧٢/١.

(١٤) ذراع الحديد وحدة قياس الطول كان يستعمل في مصر والشام والحجاز وطوله شرعا ثمانية وعشرون– إصبعا، أي ٥٨ سم بالضبط. ينظر فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة د. كامل العسيلى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠، ص ٨٧.

(١٥) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٦٤/١.

(١٦) دار زبيدة هي الدار التي بناها (جعفر بن يحيي البرمكي): في الرحبة التي كانت بين باب الخياطين وباب بني جمح. ينظر: الأزرقي: مصدر سابق، ٣٠٥/٢.

وجعل عوض البابين بابًا كبير يسمي "باب إبراهيم"[١٧] وكان مقدار تلك الزيادة سبعة وخمسين ذراعًا طولاً، وخمسين ذراعًا عرضًا بذراع الحديد.[١٨]

وبعد أن أدخل والى مكة دار زبيدة في عملية توسعة المسجد الحرام، لم يحدث للمسجد توسعة بعد ذلك حتى مطلع العصر الحديث.

ب- عمارة المسجد الحرام:

اهتم خلفاء المسلمين وولاة أمرهم بعمارة المسجد الحرام طوال تاريخهم، وكانت أول عمارة للمسجد في عهد الخليفة عثمان بن عفان، حيث جعل للمسجد أروقة[١٩]، وفي عهد خلفاء بني أمية في المشرق نالت عمارة المسجد الحرام اهتمامًا كبيرًا من جانبهم، خاصة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[٢٠] (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) وابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك[٢١] (٨٦ -٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م).

ولما قامت الدولة العباسية، أولي خلفاء العصر العباسي الأول اهتمامًا كبيرًا بعمارة المسجد الحرام، خاصة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور[٢٢] (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) وابنه الخليفة محمد المهدي[٢٣] (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م).

وفي العصر العباسي الثاني، نالت عمارة المسجد الحرام اهتمامًا كبيرًا من جانب بعض خلفاء ذلك العصر وولاة الأمر في ذلك الوقت.

ففي عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١ م) تم ترخيم جدران المسجد الحرام فيما بين باب الصفا وباب السمانين، حيث كان يوضع في تلك المنطقة الصناديق التي بها طيب الكعبة وكسوتها، إذ أرسل الخليفة أحد صنَّاعه (إسحاق بن

---

(١٧) الأزرقي: مصدر سابق، ٣٠٥/٢

(١٨) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٧٢/١.

(١٩) النهروالي (قطب الدين الحنفي): كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق. محمد حسن إسماعيل، بيروت، ١٩٩٧، ص ٧٩.

(٢٠) ابن ظهيرة (جمال الدين محمد جار الله) كتاب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، طبعة القاهرة، ١٩٢١م، ص١٩٨.

(٢١) د. سيدة كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص ١٩٩.

(٢٢) ابن فهد (عمر بن فهد بن محمد): كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق. فهيم محمد شلتوت، طبعة القاهرة، ١٩٨٣م، ١٧٥/٢-١٧٦.

(٢٣) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٨٧/١.

سلمة) لهذا الغرض، حيث قدم إلى مكة ومعه نوع من الرخام يسمى (المسير) وآلات قطعه، وقام بقلع الرخام الذي كان على جدران المسجد والذي كان يسمى (البذنجنا) ونصب الرخام (المسير) مكانه.[٢٤]

وكذلك قام إسحاق بن سلمة بإنزال المعاليق المعلقة بين الأساطين ونفضها من الغبار وغسلها وجلاها، وألبس العمد الحديد بين الأساطين ذهبًا رقيقًا، وأعاد تعليقها في مواضعها [٢٥].

وكذلك شهد عهد المتوكل عمارة ظلَّة المؤذنين[٢٦] في المسجد الحرام، حيث هدمت تلك الظلة القديمة وزيدِ في مساحتها وعُمرت[٢٧]، وفي سنة (٢٤٧هـ/٨٦١ م) أمر الخليفة أن يقاد على المشعر الحرام، وسائر المشاعر بالشمع مكان الزيت والنفط[٢٨]، ليضيء لمن يطوف ليلاً[٢٩].

أما عن عمارة ولاة الأمر للمسجد الحرام في عهد الخليفة المتوكل العباسي فقد تمثلت في قيام المنتصر بن المتوكل (ت ٢٤٨هـ) وهو ولي عهد المسلمين في (سنة ٢٣٦هـ) بعمل منبر[٣٠] عظيم خُطب عليه[٣١] في المسجد الحرام، ثم تركه به[٣٢].

---

(٢٤) الأزرقي: مصدر سابق ٣٠٦/١.

(٢٥) الأزرقي: مصدر سابق ، ٣٠٧/١.

(٢٦) أول من عمل الظلة للمؤذنين علي سطح المسجد الحرام يؤذن فيها يوم الجمعة والإمام على المنبر (عبد الله بن محمد بن عمران) وهو أمير مكة في عهد الخليفة هارون الرشيد – ولم تحدد المصادر السنة التي كان فيها عبد الله أميرًا في مكة – وكان المؤذنون قبل ذلك يجلسون في يوم الجمعة في الشمس. ينظر: القاسي: شفاء الغرام، ٢٨٣/٢ .

(٢٧) الأزرقي: مصدر سابق ، ٩٩/٢.

(٢٨) يذكر الأزرقي أن أول من أضاء لأهل الطواف وأهل المسجد الحرام جده هو (عقبة بن الأزرق الغساني)، حيث كان يضع على حرف داره الملاصق للمسجد الحرام مصباحًا عظيمًا فيضيء لأهل الحرم. الأزرقي: مصدر سابق، ٢٨٦/١ – على حين يذكر الفاكهي في كتابة المنتقي في أخبار أم القري، طبعة غتنغه، ١٢٧٥هـ، ٨٠/٢ أن أول من أضاء بالسرج في المسجد الحرام هو الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ.

(٢٩) الأزرقي: مصدر سابق ، ٢٨٦/١ .

(٣٠) ابن الضياء محمد بن أحمد المكي: كتاب تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم الأزهري، طبعة بيروت ، ١٩٩٧م ، ص١٦٠.

(٣١) أول من خطب على المنبر بالمسجد الحرام هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان ينظر: الطبري (محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك، طبعة بيروت، ١٩٨٧م، ١٩٥/٣.

(٣٢) الفاكهي: مصدر سابق ، ٥٨/٣ .

وفي عهد الخليفة العباسي المهتدي بالله (٢٥٥ – ٢٥٦هـ / ٨٦٨ –٨٦٩م) عمر المسجد الحرام على يد مولاه الذى كان يسمى (بسرًا)، ولم يشر الأزرقي–الذي أورد ذلك الخبر – إلى تفاصيل تلك العمارة[٣٣].

وفي عهد الخليفة العباسي المعتمد علي الله (٢٥٦– ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ – ٨٩٢م) كانت هناك عمارة للمسجد الحرام تمثلت في قيام واليه على مكة محمد بن أحمد بن عيسى بإضاءة المسجد ليلاً، حيث جعل في وسط المسجد عمدًا من الخشب وجعل فيها حبالاً بها قناديل لإضاءة المسجد ليلاً[٣٤].

وفي فترة خلافة المقتدر بالله، قام واليه على مكة محمد بن موسي بعمارة طاقات المسجد الحرام، بأن جعلها من الأُجرّ الأبيض والجصّ[٣٥].

كانت تلك مجهودات بعض خلفاء العصر العباسي الثاني في سبيل عمارة المسجد الحرام، وقد شاركهم في هذا العمل ولاتهم على مكة.

جـ - عمارة بئر زمزم:

بئر زمزم شرقي الركن الأسود، وأول من أظهر زمزم على وجه الأرض هو الأمين جبريل عليه السلام، حينما اشتد العطش بسيدنا إسماعيل وأمه هاجر في مكة، وبمرور الوقت اندثرت، ثم جدد حفرها عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، جد النبي ρ، واختلف في وقت تجديد حفرها، فابن إسحاق[٣٦] يرى أن ذلك تم قبل ولادة النبي محمد ρ، وقيل كان حفرها بعد مولد الرسول الكريم وبعد قصة أصحاب الفيل[٣٧].

وقد شهدت زمزم عمارة لها في عهود بعض خلفاء العصر العباسي الأول[٣٨]، وفي العصر العباسي الثاني، وفي عهد الخلفية المتوكل عهد إلى واليه على مكة محمد بن

---

(٣٣) الأزرق: مصدر سابق ، ١٠٣/٢ .

(٣٤) الفاسي: شفاء الغرام ، ٢٩٦/٢ .

(٣٥) الفاسي: نفسه ،٣٦٤/١ .

(٣٦) ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار): سيرة إبن إسحاق، تحقيق محمد حميد الله، طبعة المغرب، ١٩٧٦م، ص٢.

(٣٧) الفاسي: شفاء الغرام ، ٣٩٨/١ .

(٣٨) لمزيد من التفصيل عن عمارة زمزم في العصر العباسي الأول. ينظر:الفاسي: مخطوط تحصيل المرام، ورقة ٢٨ – وايضًا: مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، نشر / دي غوية، ليدن، ١٨٦٩م ، ٣ / ٢٦٨.

سليمان بن عبدالله العباسي (سنة٢٤٢هـ) بأمر إضاءة زمزم بقناديل بيض كبار على مدار السنة، بعد أن كانت الإضاءة في زمزم تكون في المواسم فقط[٣٩].

وفي فترة خلافة المهتدى بالله عُمرت زمزم على يد مولاه (بُسر) الذي تولى عمارة المسجد الحرام، حيث قام بتجديد بناء القبة[٤٠] التي على زمزم وجعلها من الرخام، كما فرش (بسر) أرضها بالرخام، وجعل فيها بِركة صغيرة يخرج فيها الماء من الفوَّارة التي في بطن زمزم، وجعل علي تلك البركة شباكاً من خشب، وعمل سرب لحوض الوضوء يخرج منه الماء الي وادي مكة[٤١].

د - تحديد أنصاب [٤٢] الحرم:

بالإضافة إلى توسعة وعمارة المسجد الحرام وبئر زمزم، اهتم بعض خلفاء العصر العباسي الثاني، بتحديد انصاب الحرم، تلك التي كان أول من حددها سيدنا إبراهيم υ، ثم لم تحرك حتى كان زمن قصي بن كلاب فجددها، ثم لم تحرك حتى كان فتح مكة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) حيث أمر النبي ρ تميم بن أسد الخزاعي فجددها[٤٣].

ولما قامت الدولة الأموية في المشرق(٦١هـ/ ٦٦١م)، كتب الخلفية (معاوية بن أبي سفيان) إلي واليه علي مكة عتبه بن أبي سفيان (ت٤٤هـ / ٦٦٤م) يأمره بتحديد أنصاب الحرم، وأن يستعين في هذا العمل (بكرز بن علقمة)، كي يوقفه علي معالم الحرم، ففعل (عُتبة) ما أمره به الخليفة، ثم أعيد تحديدها بعد ذلك في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (حكم بين سنتي٦٥ – ٨٦هـ / ٦٨٤–٧٠٥م)[٤٤].

---

(٣٩) ابن رسته (أحمد بن عمر) الاعلاق النفيسة ، ط ليدن ، ١٨٩٢ ، ص٤٤.

(٤٠) شيد تلك القبة الخليفة العباسي محمد المهدي ينظر : الأزرقي : مصدر سابق ، ١٠٣/٢.

(٤١) الأزرقي: مصدر سابق، ٢ / ١٠٤.

(٤٢) أنصاب الحرم هي العلامات التي تبين حدوده. ينظر: الحربي (أبو إسحاق) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق / حمد الجاسر، السعودية، ١٩٦٩، ص٤٧١ .

(٤٣) الأزرقي: مصدر سابق، ١٢٨/٢. د. محمد إلياس عبد الغني: تاريخ مكة المكرمة قديمًا وحديثًا، طبعة المدينة المنورة، ٢٠٠١م، ص ٢٢.

(٤٤) الأزرقي: مصدر سابق، ١٣٠/٢.

وفي العصر العباسي الثاني، وفي عهد الخليفة المقتدر بالله تم تجديد تحديد حدود الحرم، وفي عهد الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ – ٣٢٩هـ / ٩٣٣ – ٩٤٠م) اهتم بتحديد معالم الحرم، وأمر بعمارة العلمين الكبيرين الذين بالتنعيم[٤٥] (سنة ٣٢٥هـ/٣٩٣٦)، ودوَّن اسمه عليهما[٤٦].

من العرض السابق يتضح لنا أن بعض خلفاء العصر العباسي الثاني وبعض الشخصيات الإسلامية كانت لهم إصلاحات في مكة تمثلت في توسعة وعمارة المسجد الحرام وبئر زمزم بمكة.

الجانب الثاني

عمارة الكعبة المعظمة وكسوتها وتحليتها

الكعبة[٤٧] بيت الله العتيق في الأرض، شيده خليل الرحمن سيدنا إبراهيم ﷺ، وهو بناء مسقَّف يقع في وسط المسجد الحرام ، له أربعة أركان، شمالي وجنوبي وشرقي وغربي، وقد اختلف المؤرخون في أطوال تلك الأركان اختلافًا طفيفًا، وذلك لاختلاف وحدة قياس الطول – الذراع – في الفترات المتفاوتة فى عصور هؤلاء المؤرخين[٤٨]. وقد شهدت الكعبة عمارة في بنائها سواء كان ذلك قبل الإسلام أم بعده.

فقبل الإسلام وبعد بناء سيدنا إبراهيم، انهدم فبنته قبيلة (جُرهُم) علي يد الحارث بن مضاض الأصغر[٤٩]، ثم هدم البيت فبنته (العمالقة)، ثم هدم فبنته (قريش)[٥٠]. في حين يجزم (الماوردي) بأن أول من جدد بناء الكعبة بعد سيدنا إبراهيم كانت قريش[٥١].

---

(٤٥) التنعيم: موضح على فرسخين في مكة ، يُحرم منه أهل مكة بالعمرة ، ينظر : ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله) كتاب معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ٤٩/٢

(٤٦) الفاسي: شفاء الغرام ، ٨٦/١.

(٤٧) سميت الكعبة بهذا الاسم – كما ذكر ابن الضياء – لوجهين: الأول: لأنها مربعة وعند أهل اللغة كل بيت مدور مربع فهو مكعب، والثاني: لعلوها ونتوها فكل ناتىء بارز كعب. ينظر: ابن الضياء: مصدر سابق، ص٢٢ .

(٤٨) ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) العقد الفريد ، طبعة بيروت ، ١٩٩٩م ، ٢٧٢/٦.

(٤٩) المسعودي: مروج الذهب ، ٤٧/٢.

(٥٠) الفاسي: شفاء الغرام ، ٥٢/١.

(٥١) الماوردي علي بن محمد بن حبيب الاحكام السلطانية والولايات الدينية، طبعة بيروت(د . ت) ص ١٦٠ .

وفي الإسلام كان أول تجديد لبناء الكعبة في العهد الأموي، وتحديدًا بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية (ت٦٤هـ/٦٨٣م) على يد الثائر علي الحكم الأموي في مكة عبدالله بن الزبير (ت ٧٣هـ /٦٩٢م)[٥٢] ثم أدخل تعديلاً علي بناء ابن الزبير في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (سنة ٧٣هـ /٦٩٢م)، علي يد واليه على مكة –في ذلك الوقت– الحجاج بن يوسف الثقفي[٥٣].

وفي العصر العباسي الثاني، كانت أول عمارة للكعبة في عهد الخليفة (المتوكل)، وتفصيل ذلك:

أن والي مكة العباسي عبدالله بن محمد بن داود بن عيسي (٢٤٠-٢٤٢هـ)[٥٤] كتب إلى الخليفة قائلاً "إني دخلت الكعبة فرأيت الرخام المفروش به أرضها قد تكسر وصار قطعاً صغارًا ورأيت ما على جدرانها من الرخام قد تزايل تهندمه، وهي عن مواضعه ، فأنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ليري رأيه الميمون فيه، ويأمر في ذلك بما يوفقه الله عز وجل[٥٥]" وكذلك كتب صاحب البريد علي مكة بمثل ما كتب به الوالي إلى الخليفة.

فلما وصلت تلك المكاتبات إلى الخليفة، أرسل رجلاً من صُنَّاعه يقال له إسحاق بن سلمة الصايغ وهو شيخ له معرفة بالصناعات، ومعه من الصُّناع مَن تخيَّرهم ابن سلمة ومعهم مائة لوح من الرخام السميك الذي يسمى (المسير) وآلات قطع الرخام، حيث قدم إسحاق مكة في (رجب ٢٤١هـ/نوفمبر٨٥٥ م)، وقلع الرخام المتزايل من جدران الكعبة وأعاد ترخيم جدرانها بما معه من الرخام، مستخدمًا جصًّا– صنعانًّا– أرسله إليه والي صنعاء باليمن[٥٦]، حيث خلطه بماء زمزم ونصب به الرخام، كما فرش الأرض بالرخام ، وفرغ من ذلك العمل (سنة ٢٤٢هـ)[٥٧].

---

(٥٢) خليفة بن خياط: كتاب تاريخ خليفة ، تحقيق د. أكرم العمري ، طبعة العراق ، ١٩٦٧م ، صـ٣٠٧.

(٥٣) ابن الضياء: مصدر سابق، ص١١٠.

(٥٤) ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم): الكامل في التاريخ ، تحقيق يوسف الدقاق، طبعة بيروت، ١٩٨٧م ، ١٢١/٦.

(٥٥) الأزرقي: مصدر سابق ٣٠٠/١ .

(٥٦) كان الوالي من قبل الخلافة العباسية على اليمن هو محمد بن زياد (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، بنظر: د. عصام عبدالرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٨٣.

(٥٧) الأزرقي: مصدر سابق ، ٣٠١/١ .

وكذلك قام إسحاق بن سلمة بتجديد عتبة باب الكعبة، تلك التي كانت تتكون من قطعتين من خشب الساج[٥٨]، وقد رثتا ونخرتا من طول الزمان عليهما، فأخرجهما وجعل مكانهما قطعة واحدة من خشب الساج الجديد[٥٩].

أما العمارة الثانية للكعبة في العصر العباسي الثاني، فكانت في عهد الخليفة (المعتضد) وتحديدًا (سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م)، إذ بعث بمال كثير مع أمير الحج ذلك العام وهو يوسف بن يعقوب قاضي بغداد(ت ٢٩٧هـ)[٦٠] وذلك لعمارة ما اختل في بطن الكعبة الشريفة[٦١].

أ - عمارة حِجْر سيدنا إسماعيل:

ارتبط بعمارة الكعبة عمارة حِجْر[٦٢] سيدنا إسماعيل υ، وكانت أول عمارة له في العصر العباسي الأول في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، وذلك حينما حج (سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م)، حيث أمر واليه على مكة زياد بن عبيد الله الحارثي[٦٣] بترخيم جدران الحِجْر[٦٤]، ثم جددت عمارة الحِجْر في عهد الخليفة محمد المهدي[٦٥].

وفي العصر العباسي الثاني، وفي عهد الخليفة المتوكل، قام والي مكة عبدالله بن محمد بن داود بن عيسي(سنة٢٤١هـ) بقلع الرخام الذي كان في الحجر، والذي كان من عمل الخليفة محمد المهدي وألبسه رخاماً جديداً[٦٦] .

وكذلك عُمر الحِجْر في عهد الخليفة المعتضد (سنة ٢٨٣هـ)، ولم يشر الفاسي الذي أورد هذا الخبر إلى تفاصيل تلك العمارة[٦٧].

---

(٥٨) الساج: نوع من الشجر يمتاز خشبه بالجودة .

(٥٩) الأزرقي: مصدر سابق ، ٣٠٥/١ .

(٦٠) ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر): كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، طبعة بيروت، ١٩٧٠م ، ٢٦١/٤

(٦١) الرشيدي: مصدر سابق ، ص١٠٤ .

(٦٢) الحجر: المسافة التي بين الركن الشامي والركن الغربي من الكعبة وبه قبر إسماعيل υ وأمه هاجر. ينظر الأزرقي: مصدر سابق، ٣١٣/١.

(٦٣) تولى زياد بن عبيد الله أمر بلاد الحجاز مجتمعة في الفترة من (١٣٨-١٤١هـ).

(٦٤) الفاسي: شفاء الغرام ، ٣١٣/١.

(٦٥) الفاسي: شفاء الغرام ، ٣٤٥/١.

(٦٦) الأزرقي: مصدر سابق ، ١/ ٣١٤.

تلك كانت أعمال بعض خلفاء العصر العباسي الثاني في مجال عمارة الكعبة المعظمة وعمارة حِجْر سيدنا إسماعيل.

ب - كسوة الكعبة المعظمة:

تغطي الكعبةَ جميعَها سترة تسمى الكسوة، وكسوة الكعبة معروفة في الجاهلية والإسلام[٦٨]، ففي الجاهلية كان أول من كسي الكعبة أبو كرب أسعد الحميري، كساها العصب[٦٩]، ثم كساها الوصائل[٧٠] لذلك نهي النبي ρ عن سب أسعد[٧١].

وفي الإسلام كان أول من كسي الكعبة هو النبي ρ،كساها الثياب اليمانية[٧٢]، ثم كسيت بعد ذلك في العهد الراشدي، وفي عهد دولة بني أمية في المشرق وفي العصر العباسي الأول.

وفي العصر العباسي الثاني، وفي عهد الخليفة العباسي (المتوكل)، كانت الكعبة تكسي ثلاث كُسىً، كسوة الديباج الأحمر يوم التروية[٧٣] ، وثانية من القباطي[٧٤] يوم هلال رجب، والأخيرة من الديباج الأبيض يوم سبع وعشرون من رمضان[٧٥] ، ثم رفع الحجبة إلى الخليفة أن كسوة الديباج الأحمر تَبلَى قبل هلال رجب من مس الناس وتَمسُّحهم بالكعبة فزادها المتوكل إزارين من الديباج الأحمر مع الإزار الأول[٧٦] .

ولم تشر المصادر التي اعتمدنا عليها خلال فترة البحث إلى قيام أحد من خلفاء العصر العباسي الثاني بأمر كسوة الكعبة بعد المتوكل.

---

(٦٧) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٤٦/١.

(٦٨) ابن قتيبة: (أبو محمد عبدالله بن مسلم): كتاب المعارف، طبعة بيروت، ١٩٨٧م صـ٣١١.

(٦٩) العصب: نوع من الثياب اليمانية سمي عصبًا لان غزله يعصب ثم يغزل ثم يحاك. ينظر: ابن الضياء، مصدر سابق، حاشية (٥) صـ١١٧.

(٧٠) الوصائل: ثياب حمرة من عصب اليمن. ابن الضياء: مصدر سابق، حاشية (٦) ص١١٧ .

(٧١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ، صـ١٠٤

(٧٢) ابن الضياء: مصدر سابق، صـ١١٨.

(٧٣) يوم التروية: هو اليوم الثامن من ذي الحجة، وسمى بذلك لتروي الحجيج بالماء استعدادًا ليوم عرفة. ينظر: ابن عبدالبر (الحافظ يوسف بن عبد البر): الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، حاشية (٧) ص٢٦٥.

(٧٤) القباطي: جمع قبطية بالضم، وهو ثوب أبيض رقيق من ثياب مصر. ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، ١٩٦/١.

(٧٥) الفاسي: نفس المصدر ، ١٩٦/١.

(٧٦) الأزرقي: مصدر سابق ، ٢٥٧/١.

جـ - تحلية الكعبة المعظمة:

أول من حلي الكعبة في الجاهلية عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ρ، وذلك حينما وجد غزالين من ذهب وأسيافًا عند قيامة بإعادة حفر بئر زمزم، فزين باب الكعبة بالسيوف، وضرب فوقه احد الغزالين وجعل الآخر في جوف الكعبة، فكان عبدالمطلب أول من زين الكعبة بالذهب(٧٧).

ومن المحتمل أن ما عثر عليه عبدالمطلب بن هاشم من ذهب وغيره عند إعادة حفر بئر زمزم، هي الهدايا التي أهداها ساسان بن بابك(٧٨) احد ملوك الفرس إلى الكعبة قبل الإسلام، إذ يذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" وفي سياق إخباره عن الفرس قبل الإسلام، أن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفًا وذهبًا كثيرًا فدفن في زمزم(٧٩).

وأول من حلى الكعبة في الإسلام الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك بعد أن فتحت المدائن عاصمة الإمبراطورية الساسانية علي يد القائد سعد بن أبي وقاص (ت٥٥هـ) سنة (١٦هـ/٦٣٧م)(٨٠)، إذ بعث بهلالين عُلِّقا في الكعبة(٨١).

وفي العهد الأموي في المشرق، اهتم خلفاء بنو أمية بأمر تحلية الكعبة المعظمة، وكذلك بعض خلفاء العصر العباسي الأول أسهموا في أمر تحلية الكعبة الشريفة(٨٢)

وفي العصر العباسي الثاني، كان أول من حلى الكعبة هو الخليفة المتوكل إذ بعث بشمسة عملها من الذهب المرصع بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجرد، وعلقت تلك الشمسة بسلسلة من الذهب في وجه الكعبة(٨٣)،وفي عهد المتوكل أيضًا – كتب إليه

---

(٧٧) الأزرقي: مصدر سابق ، ٤٧/٢.
(٧٨) عن ساسان بن بابك ينظر، الفردوسي (أبو القاسم): كتاب الشاهنام ترجمة الفتح بن علي البنداري، تحقيق د.عبدالوهاب عزام ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م ، ٣٩/٢
(٧٩) المسعودي: مصدر سابق، ٢٤٢/١.
(٨٠) ياقوت: مصدر سابق ، ٧٥/٥.
(٨١) البيروني: (محمد بن أحمد): كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، طبعة القاهرة ، ص٦٧.
(٨٢) الأزرقي: مصدر سابق، ٢٢٥/١.
(٨٣) الأزرقي: مصدر سابق، ٢٢٥/١ .

حَجَبةُ[٨٤] الكعبة: " إن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبستان بالذهب وزاويتين من الفضة، وإن ذلك لو كان كله ذهبًا كان أحسن وأزين، وإن قطعة الرخام التي فوق الإزار الثني في أعلى الكعبة لو جعلت من الفضة كان أبهى وأحسن[٨٥].

فلما وصلت تلك المكاتبة إلى الخليفة طلب من أحد صنَّاعه – إسحاق بن سلمة الصايغ – بعمل ما أشار به الحجبة في شان حلية الكعبة، حيث قام بتلبيس الذهب على زاويتي الكعبة اللتين هما من الفضة وكسر الذهب القيم على الزاويتين الآخرتين، وضرب عليهما ذهبًا جديدًا فصارت زوايا الكعبة الأربع من الذهب على شكل واحد.

كذلك قام إسحاق بعمل الفضة بدلاً من الرخام الذي فوق إزار الكعبة العلوي ، وجعل للكعبة طوقًا من الذهب المنقوش ، وقد بلغ ما كان في الزوايا الأربع من الذهب والطوق الذي على الكعبة ثمانية آلاف[٨٦] مثقال[٨٧] وكذلك قام إسحاق الصايغ بتذهيب جدران الكعبة وسقَّفها بالذهب الرقيق، وبلغ جملة ما استخدمه من الذهب في ذلك العمل مائة حُق في كل حُق خمسة مثاقيل[٨٨]، وفي (المحرم سنة ٢٣٧هـ / يوليو ٨٥١م)، أمر المتوكل بضرب صفائح الذهب علي باب الكعبة من الداخل، وجعل علي الباب غُلقًا من الفضة[٨٩].

وفي عهد الخليفة العباسي المعتمد علي الله (٢٥٦ – ٢٧٩هـ / ٨٦٩ – ٨٩٢م) شهدت الكعبة المعظمة تحلية لها، إذ إنه في سنة (٢٥٩هـ / ٨٧٢م) أسلم ملك من ملوك السند ، فبعث إلى الكعبة بطوق من ذهب فيه مائة مثقال مكلل بالزمرد والياقوت

---

(٨٤) حجبة الكعبة أو سدنتها، وهم الذين يتولون حفظ الكعبة وبأيديهم مفاتيحها. ينظر: لبن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وزميليه، طبعة دار المعارف، مصر (د،ت) ٥٠/٣ وكانت تلك الوظيفة بيد بنى طلحة من بني عبدالدار بن قصي بن كلاب، وهي بيدهم إلى اليوم. ينظر ابن حزم : مصدر سابق ، ص ١٢٧.

(٨٥) الفاسي: شفاء الغرام، ١٨٦/١.

(٨٦) الفاسي: شفاء الغرام، ١٨٦/١.

(٨٧) المثقال: اسم لحاله ما له ثقل، سواء كبر أو صغر. ينظر: المقريزي (أحمد بن علي): شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق د/ محمد عبد الستار، طبعة القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٨٣.

(٨٨) الفاسي: شفاء الغرام ،١٨٧/١.

(٨٩) ابن رستة: الاعلاق النفيسة، ص٣٣.

والماس، وياقوتة خضراء وزنها أربعة وعشرون مثقالًا، فدفعها إلى الحجبة، فكتبوا في أمرها إلى الخليفة، فأمر بتعليق تلك الهدايا في الكعبة[٩٠].

وفي عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩هـ / ٨٩٢ – ٩٠١م) كتب حجبة الكعبة إليه يذكرون أن بعض ولاة مكة كان قد قلع ما علي عضادتي باب الكعبة من الذهب، فضربة دنانير، واستعان بها علي حرب العلوي الخارجي بها سنة إحدى وخمسين ومائتين[٩١]، فكانوا يسترون العضادتين بالديباج[٩٢] كما كتبوا إليه أيضًا أن "بعض العمال علي مكة قلع مقدار الربع من أسفل ذهب بابي الكعبة ، واستعان به لمواجهة فتنة كانت بين الحناطين والجزارين في مكة سنة ثمان وستين ومائتين، وجعل مكان الذهب فضة مموهة بالذهب على مثل ما كان عليها، فإذا تمسح به أيام الحج بدت الفضة[٩٣] وطلبوا من الخليفة أن يعمل الذهب علي ما كان عليها، فأمر بعمل ذلك وعمل ما رفع إليه[٩٤].

ولم تقتصر تحلية الكعبة المعظمة على ما قام به بعض خلفاء العصر العباسي الثاني، بل شاركهم في هذا العمل بعض شخصيات البيت العباسي، ومن هؤلاء السيدة (شغب)[٩٥] أم الخليفة العباسي المقتدر بالله إذ أمرت غلامها (لؤلؤًا) بأن " يلبس جميع الأسطوانة الأولى التي تلي باب الكعبة الذهب، وذلك سنة عشر وثلاثمائة"[٩٦].

من العرض السابق يتضح لنا قيام بعض خلفاء العصر العباسي الثاني بمجهودات حثيثة من أجل تحلية الكعبة المعظمة، وشاركهم في هذا العمل بعض سيدات البيت العباسي.

---

(٩٠) الفاسي: شفاء الغرام، ١٩١/١

(٩١) العلوي الخارجي هو: إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بمكة سنة ٢٥١هـ وعن تلك الحركة ينظر ابن الأثير: مصدر سابق، ٦/ ١٨١.

(٩٢) الفاسي: شفاء الغرام، ١٨٨/١.

(٩٣) الفاسي: نفسه، ١٨٨/١.

(٩٤) الفاسي: نفسه، ١٨٨/١.

(٩٥) توفيت والدة المقتدر (شغب) عام ٣٢٠هـ، بعد وفاة ابنها بستة أشهر ينظر: الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي): أخبار الدول المنقطعة (تاريخ الدولة العباسية)، تحقيق د. محمد بن مسفر، طبعة المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ص٢٢١.

(٩٦) الفاسي: شفاء الغرام، ١٨٨/١.

د - تحلية مقام[٩٧] سيدنا إبراهيم:

إرتبط بتحلية الكعبة في العصر العباسي الثاني، تحلية مقام سيدنا إبراهيم υ، وأول من حلي المقام بالذهب في الإسلام هو الخليفة العباسي محمد المهدي وذلك عندما حج سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)[٩٨] .

وفي العصر العباسي الثاني، وفي عهد الخليفة المتوكل، تم تحلية المقام بالذهب فوق حلية المهدي وذلك سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م)[٩٩].

ولما خرج إسماعيل بن يوسف العلوي بمكة (سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م)، على الخلافة العباسية، لجأ والي مكة –في ذلك الوقت– جعفر بن الفضل[١٠٠] إلى قلع الذهب الذي حلى به المتوكل المقام وضربه دنانير ليستعين بها في قتال العلوي، وبقي على المقام حلية الذهب التي عُملت في عهد المهدي حتى تول الخلافة العباسية المهتدي بالله[١٠١] (٢٥٥–٢٥٦هـ/٨٦٨–٨٦٩م)

وفي عهد الخليفة المهتدي بالله ذكر حجبة الكعبة لوالي مكة العباسي علي بن الحسن أن المقام وَهَى وتسللت أحجاره ويخشى عليه، وطلبوا تجديد عمله وصبَّه حتى يشتد[١٠٢].

واستجاب والي مكة لمطلب حجبة الكعبة، وأُحضر المقام إلى دار الإمارة، وأذيبت له العقاقير بالزئبق وشد بها شدًّا جيدًا حتى التصق، وقام بذلك العمل بشر الخادم مولى الخليفة، وبعد أن اشتد المقام عُمل له طوقان من الذهب فيهما ألف مثقال، وطوق من الفضة، وأُعيد إلى موضعه بجوار الكعبة[١٠٣].

مما سبق يتضح لنا أن بعض خلفاء العصر العباسي الثاني، وولاتهم على مكة، كانت لهم مجهودات في تحلية مقام سيدنا إبراهيم υ في مكة.

---

(٩٧) المقام في اللغة موضع القدم، ومقام إبراهيم الحجر الذي وقف عليه فى أثناء بنائه للكعبة. ينظر: ابن رسته.. مصدر سابق، ص٥٤–ابن الضياء: مصدر سابق، ص٢٧.

(٩٨) الأزرقي: مصدر سابق، ٣٦/٢.

(٩٩) ابن رستة: مصدر سابق، ص٥٤.

(١٠٠) هو: جعفر بن الفضل بن عيسي بن موسي بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس تولي أمر مكة عامي (٢٥٠،٢٥١هـ) ينظر الفاسي: شفاء الغرام، ٢٩٤/٢.

(١٠١) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٢٨/١.

(١٠٢) الفاسي، نفسه، ٣٢٨/١.

(١٠٣) ابن الضياء: مصدر سابق، ص١٣١.

الجانب الثالث

إصلاحات عامة في مكة

بجانب الإصلاحات التي قام بها بعض خلفاء العصر العباسي الثاني وبعض الشخصيات الإسلامية في المسجد الحرام والكعبة المعظمة، هناك إصلاحات عامة في مكة شملت **ثلاثة محاور**:

أ - توفير مياه الشرب لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام .

ب- تعمير بعض المساجد وبناء بعض المنشآت.

جـ- حماية مكة من خطر السيول.

وهذا ما سوف نتعرض له بشيء من التفصيل على الصفحات التالية:

أ- توفير مياه الشرب لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام:

لما كانت مكة قليلة المياه، في وادًا غير ذي زرع تَحُفُّ بها جبال شاهقة الارتفاع، كان سكانها والوافدون إليها يحصلون على حاجتهم من المياه من الأمطار التي كانت تتجمع في صهاريج وبرك أُعدت لهذا الغرض(١٠٤).

ولمواجهه ندرة المياه في مكة، اهتم بعض خلفاء الدول العربية بحفر آبار للمياه في مكة، وفي أماكن شعائر الحج(١٠٥)، ولما تولي بنو العباس أمر المسلمين، كان من ضمن أعمالهم ومجهوداتهم في بلاد الحجاز توفير المياه لأهل مكة والحجاج الوافدين إليها، وشاركهم في هذا العمل بعض الشخصيات الإسلامية، سواء في العصر العباسي الأول أو الثاني.

ففيما يخص العصر العباسي الثاني –فترة البحث– كان لبعض خلفائه وبعض الشخصيات الإسلامية جهودًا ملموسة في هذا السياق.

---

(١٠٤) ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل): كتاب صورة الأرض، تحقيق دي غوية، طبعة ليدن، ١٩٣٨م، ص٤٠.

(١٠٥) النهروالي: مصدر سابق،ص٩٣.

ففي عهد الخليفة المتوكل وتحديدًا في (سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م) غارت عين (مشاش)[١٠٦] في مكة وبلغ ثمن قربة الماء ثمانين درهم، فبعث الخليفة مالاً ينفق عليها حتى تعود كما كانت عليه موردًا للمياه لحجاج بيت الله الحرام[١٠٧]. كما شهد عهد المتوكل قيام أحد مواليه والذي كان يسمى (سلقان)، بإعادة حفر بئر أبي موسى الأشعري[١٠٨] في (المعَلَّاة)[١٠٩]، وذلك (سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م).

وفي عهد الخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) وحرصًا منه على توفير المياه لأهل مكة، خصص نفقات لصهاريج المياه وأوكل أمر الإشراف على هذا العمل إلى أحد أتباعه الذي كان يسمى محمد بن حاتم[١١٠] وفي عهد الخليفة المعتمد على الله قام أخوه الموفق طلحة بحفر بئر للمياه بجوار الرباط الذي شيده في مكة[١١١].

واستمرارًا لمجهودات بعض خلفاء العصر العباسي الثاني من أجل توفير المياه لأهل مكة، شرع الخليفة المقتدر بالله في حفر بئرين للمياه في (العُسيلة)[١١٢] وكذلك قام بتعمير أربعة أبار للمياه في أسفل مكة من جهة التنعيم[١١٣]، وهي التي تعرف بآبار الزاهر الكبير[١١٤].

وكذلك قام الخليفة المقتدر بالله بعمارة سبيل السيدة (زينب) بنت القاضي أحمد الطبري[١١٥] في أسفل مكة، حيث وجد شاهد أثري في هذا السبيل، وهو عبارة عن حجر

---

(١٠٦) عن عين المشاش ينظر: عرام بن الأصبغ، كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، تحقيق د. محمد صالح، طبعة بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٩ .

(١٠٧) ابن الأثير: مصدر سابق، ١٣٠/٦.

(١٠٨) ياقوت الحموي: مصدر سابق، ١٣٠/١.

(١٠٩) المعلاة: موضع بين مكة وبدر ينظر: ياقوت: مصدر سابق، ١٥٨/٥.

(١١٠) اليعقوبي: مصدر سابق، ٤٩٨/٢.

(١١١) الفاسي: شفاء الغرام، ٥٤٦/١.

(١١٢) العُسيلة: ماء في جبل القنان شرق سميراء. ينظر: ياقوت: مصدر سابق، ١٢٥/٤ – وسميراء منزل بطريق مكة. ينظر ياقوت: مصدر سابق ٤٥٥/٢.

(١١٣) التنعيم: موضع بمكة علي بُعد فرسخين منها. ينظر: ياقوت: مصدر سابق، ٤٩/٢ .

(١١٤) ابن الضياء: مصدر سابق، ص ٢٠٩.

(١١٥) القاضي أحمد الطبري، الفقيه الشافعي كان إمام وقته في طبرستان، وله عدة مؤلفات في الفقه، وتوفي سنة (٣٣٥هـ) ينظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ٦٨/١.

مكتوب عليه أن المقتدر العباسي ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية والآبار التي وراءها وتصدقًا بها ذلك سنة (٣٠٢هـ)[١١٦].

وممن أسهم في توفير المياه لأهل مكة من شخصيات البيت العباسي السيدة (شغب)، حيث يذكر ابن الضياء في كتابه" تاريخ مكة المشرفة والبيت الحرام" أن والدة المقتدر قامت بعمارة آبار للمياه في العسيلة[١١٧]، كما أنها شاركت ابنها الخليفة في عمارة سبيل السيدة (زينب) كما ذكرنا فيما سبق.

وكذلك قامت السيدة (شغب) بعمارة (خمس) برك للمياه في جبل عرفة، وذلك سنة (٣١٥هـ)[١١٨]، كما أنها أمرت ببناء بيت مربع في عرفة، يقال له "بيت آدم" كان سقاية للحجاج، ووجد مكتوب على حجر في الحائط القبلي من هذا البناء ما يفيد أن والدة المقتدر هي التي شيدت بيت آدم[١١٩]، بالإضافة إلى ذلك أصلحت الكثير من حياض المياه في مكة وأنفقت الكثير من أموال ضياع على تلك الأعمال الخيرية[١٢٠].

كانت تلك مجهودات بعض خلفاء العصر العباسي الثاني وبعض الشخصيات الإسلامية من أجل توفير المياه لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام.

ب- تعمير بعض المساجد وبناء بعض المنشآت:

شهد العصر العباسي الثاني اهتمامًا من جانب بعض خلفائه وبعض شخصيات البيت العباسي بتشييد بعض المنشآت وتعمير بعض المساجد في مكة، ومن ذلك:

قيام الموفق طلحة ببناء رباط في مكة عده ابن الضياء من الدور المباركة هناك[١٢١]، وغالبًا ما كانت تقام الصلوات في تلك الدور[١٢٢]، وكذلك شهد عهد الخليفة المقتدر قيامه ببناء رواق لبيت السيدة خديجة، والذي ولدت فيه السيدة فاطمة الزهراء بنت

---

(١١٦) ابن الضياء: مصدر سابق، ص ٢٠٧.
(١١٧) ابن الضياء: مصدر سابق، ص ٢٠٩.
(١١٨) الفاسي: شفاء الغرام، ٥٤٣/١.
(١١٩) الفاسي: نفسه، ٤٨٥/١.
(١٢٠) ويضيف الأزدي، أنها كانت مواظبة على صلاح شأن الحج وإنفاذ خزانة الطب والأشربة إلى الحرمين وطريقهما. ينظر الأزدي: مصدر سابق، ص ٢٢١.
(١٢١) ابن الضياء: مصدر سابق، ص ١٩٠.
(١٢٢) الفاسي: شفاء الغرام، ٥٤٣/١.

النبي ρ، حيث وجد مكتوب على الرواق أن المقتدر بالله العباسي أمر بعمله[١٢٣]، كما قامت السيدة (شغب) بتعمير المسجد الذي في التنعيم، وهو الذي اعتمرت منه السيدة (عائشة) زوجة النبي ρ بعد حجها حجة الوداع[١٢٤]. كانت تلك أهم المنشآت العمرانية في مكة والتي تمت على أيدي بعض خلفاء العصر العباسي الثاني وبعض شخصيات البيت العباسي.

جـ- حماية مكة من خطر السيول:

ساعدت طبيعة مكة الجغرافية على كثرة تعرضها لخطر السيول، فأوديتها وسفوحها تساعد على جريان الماء من أعلي إلى أسفل، وقد تعرضت لكثير من السيول، سواء في الجاهلية أو في الإسلام[١٢٥] وكان آخر تلك السيول التي تعرضت لها مكة في العصر العباسي الأول (سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م) في عهد الخليفة عبد الله المأمون فقد أغرق السيل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة، فلما رفع ذلك إلى الخليفة، أرسل مالاً كثيرًا لإصلاح ما أفسده السيل، وأمر بأن يعزق وادي مكة لامتصاص مياه السيل[١٢٦].

وفي العصر العباسي الثاني وفي عهد الخليفة المتوكل ولحماية مكة من خطر السيول، أنفقت السيدة (شجاع) أم الخليفة اثنى عشر ألف دينار لعزق وادي مكة لامتصاص مياه السيول إن حدثت[١٢٧].

إلا أنه بالرغم من ذلك، تعرضت مكة كثيراً للسيول، كما حدث في عهد الخليفة (المعتز بالله) (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٨م)[١٢٨].

وكما حدث في عهد الخليفة (المقتدر بالله) حيث يذكر المسعودي أن مياه السيل غطت أركان البيت الحرام الأربع، إلا أنه لم يذكر ماذا فعل الخليفة لمواجهة هذا السيل[١٢٩]

---

(١٢٣) ابن الضياء: مصدر سابق، ص ١٨٧.
(١٢٤) الفاسي: شفاء الغرام، ٤٢٩/١.
(١٢٥) عن السيول التي تعرضت لها مكة في الجاهلية والإسلام. ينظر: الأزرقي، مصدر سابق، ٣١٠/٢.
(١٢٦) الفاسي: شفاء الغرام، ٤١٩/٢.
(١٢٧) الأزرقي: مصدر سابق، ١٧١/٢.
(١٢٨) الأزرقي: مصدر سابق، ٣١١/٢.
(١٢٩) المسعودى: مصدر سابق، ٣٩٧/٤.

من البحث السابق يتضح لنا أن بعض خلفاء العصر العباسي الثاني وبعض الشخصيات الإسلامية كانت لهم جهود ملموسة في القيام بإصلاحات في مكة، وأن تلك الإصلاحات تمثلت في ثلاث محاور: الأول في توسعة المسجد الحرام وعمارته، والثاني: في عمارة الكعبة المعظمة وكسوتها وتحليتها. والأخير: في القيام بإصلاحات عامة في مكة تمثلت في توفير المياه لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام إلى تعمير بعض المساجد في مكة، وأخيراً حماية مكة من خطر السيول.

ملحق(١)

خلفاء العصر العباسي الثاني

في الفترة من (٢٣٢-٣٢٩هـ/ ٨٤٦-٩٤٠م)

جعفر المتوكل علي الله	**٢٣٢هـ/٨٤٦م**
محمد المنتصر بالله	**٢٤٧هـ/٨٦١م**
أحمد بن محمد المستعين بالله	**٢٤٨هـ/٨٦٢م**
محمد المعتز بالله	**٢٥٢هـ/٨٦٦م**
محمد المهتدي بالله	**٢٥٥هـ/ ٨٦٩م**
أحمد المعتمد علي الله	**٢٥٦هـ/٨٧٠م**
المعتضد بالله	**٢٧٩هـ/٨٩٢م**
المكتفي بالله	**٢٨٩هـ/٩٠٢م**
المقتدر بالله	**٢٩٥هـ/٩٠٨م**
القاهر بالله	**٣٢٠هـ/٩٣٢م**
الراضي بالله	**٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م**

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة:

١- الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (٨٣٢هـ/١٤٢٩م)
تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم، مخطوط منه مصورة مكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٦١٠ تاريخ.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

١- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد عبد الكريم الجزري ت(٦٣٠هـ/١٢٣٣م) الكامل في التاريخ، ج٦ تحقيق د. محمد يوسف الدقاق طبعة أولى،بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢- ابن حزم: أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة أولى، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبر (توفي أواخر القرن الرابع الهجري) صورة الأرض، تحقيق دي غوية، ليدن، ١٩٣٨م.

٤- ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق د/ إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٥- ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٥م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، العراق،١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

٦- ابن رستة: أبو علي أحمد بن عمر (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):الأعلاق النفيسة، تحقيق دي غوية، طبعة ليدن، ١٨٩٢م.

٧- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار (ت١٥١هـ/٧٦٨م): سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق د. محمد حميد الله، طبعة المغرب ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٨- ابن الضياء: محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء(ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ط أولى، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة بيروت،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٠- ابن ظهيرة: جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ظهيرة (من رجال القرن التاسع الهجري). الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، طبعة أولي، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢١م.

١١- ابن عبد البر: الحافظ يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، القاهرة،١٩٨٣م.

١٢- ابن عبد الحق: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٧م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣أجزاء، طبعة ليدن،١٨٥٢م.

١٣- ابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، طبعة بيروت،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٤- ابن فهد: النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبعة أولى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
١٥- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، طبعة أولى، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٦- ابن منظور: (ت٧١١هـ/١٣٣١م): لسان العرب المحيط، تحقيق عبدالله علي وآخرين، طبعة دار المعارف، مصر، (د.ت).

١٧- الأزدي: جمال الدين أبو الحسن علي بن غازي الأزدي (ت٦١٣هـ/١٢١٦م): أخبار الدول المنقطعة، تاريخ الدولة العباسية، تحقيق د. محمد بن مسفر بن حسين الزهراني، طبعة المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٨- الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح، طبعة دار الأندلس، . بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٩- البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م): الجماهر في معرفة الجواهر، طبعة أولي، حيدر آباد، ١٣٥٥هـ.

٢٠- الحربي: أبو إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ/٨٨٠م): كتابة المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجريمة، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، السعودية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٢١- الرشيدي: أحمد الرشيدي (ت١١٧٨هـ/١٧٦٤م): حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج، تحقيق د. ليلي عبد اللطيف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٢- الطبري: محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، طبعة أولى، بيروت، ١٤٠٧/١٩٨٧م.

٢٣- عرام بن الأصبغ السلمي (من علماء القرن الرابع الهجري): كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القري وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق د. محمد صالح شناوي طبعة أول، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٤- الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق د. عمر عبد السلام، طبعة أولى، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٥- قدامه بن جعفر (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م): نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق د. غوية، ليدن،.١٨٦٩

٢٦- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، طبعة بيروت، (د.ت).

٢٧- مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، نشر/ دي غوية، ليدن، ١٨٦٩م.

٢٨- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين، طبعة بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٩- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق د. محمد عبد الستار، طبعة أولى، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٠- النهروالي: قطب الدين الحنفي (ت٩٩٠هـ/١٥٨١م): كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق محمد حسن طبعة أولى، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣١- ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت(د.ت).

٣٢- اليعقوبي: أحمد أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، طبعة بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ثالثا: المراجع العربية والمعربة

١- توفيق سلطان اليوزبكي (الدكتور): مؤسسة الوزارة في الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩ – ١٢٥٨م)، طبعة بغداد، ١٩٨٩م.

٢- حسن إبراهيم حسن (الدكتور): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣- سيدة إسماعيل كاشف (الدكتورة): الوليد بين عبد الملك، سلسة تاريخ المصريين، العدد ٢٣٨، ٢٠٠٥م.

٤- عصام عبد الرؤوف (الدكتور): اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بن رسول، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٥- فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة د. كامل العسلي، طبعة منشورات الجامعة الأردنية، ٣١٩٧٠.

٦- محمد إلياس عبد الغني (الدكتور): تاريخ مكة المكرمة قديمًا وحديثًا، طبعة أولى، المدنية المنورة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٧- محمود عرفة (الدكتور): العرب قيل الإسلام، طبعة دار الثقافة العربية، القاهرة.